جـمـهـوريـة العـــــراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جــامعــة ديــالـــــى
كلية التربية للعلوم الإنسانيــــة
الـــدراســـات العـلـيــا
قسم اللغـــة العـــربيـــــة

التضافرُ الصرفيُّ النحويُّ وأثرُه في تشكيلِ الدلالةِ عندَ المتنبي

رسالة مُقدمةٌ
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة ديالى وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدبها
تخصص/ لغة

من الطالب
سـلام صلاح مـهدي

بإشراف الأستاذ الدكتور
غــادة غـــازي عــبــد المــجـيــد

١٤٤١هـ ٢٠٢٠م

المبحث الاول

أبنية الفعل المجرد بين التعدي واللزوم

أبنية الفعل المجرد بين التعدي واللزوم

تنبه علماء العربية الأوائل الى ظاهرة التعدي واللزوم في الفعل، ووضعوا لها حدودا وعلامات تبين الفعل اللازم من المتعدي، فسيبويه مثلاً (ت ١٨٠هـ) وضع باباً للفعل اللازم اسماه ((هذا باب الفاعل الذي لم يتعده فعله إلى مفعول .... فأما الفاعل الذي لا يتعداه فعله فقولك : ذهَب زيدُ وجلَس عمرُو))[١] إذ نرى أنَّ سيبويه اسماه ((الفاعل الذي لم يتعده فعله الى مفعول))[١] ، إذ إنه قدَّم وصفا لهذه الظاهرة في الفعل دون أن يعطي مصطلحا صريحا لها، كذلك جعل الفاعل عنوانا لهذا الباب، مشيراً إلى ان الفاعل هو الأصل في حدوث الفعل، وعليه أصبح لازماً مكتفياً به، وذكر مثالين بيَّنَ فيهما ما ذكره من وصف لهذه الظاهرة وهما(ذهب زيد و جلس عمرو) مما يلحظ في هذين المثالين، أنّه لما كان الذهاب صادراً من زيد غير متأثر به غيره، لم يتعدَّ الى مفعول به، وكذا الحال في الفعل الثاني، وهذا ما أكده سيبويه بقوله:((وأعلم أنَّ الفعل الذي لا يَتعدّى الفاعل يتعدى إلى اسم الحَدَثان الذي أُخذ منه؛ لأنه إنما يُذْكَر لَيدلّ على الحدث ألا ترى أنَّ قولك قد ذَهَبَ بمنزلة قولك قد كان منه ذَهَابٌ))[٢].

وبيَّن ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) مفهوم الفعل اللازم بقوله: ((ما هو لازمٌ للفاعل غيرُ متجاوز له إلى مفعول، ويُقال له غير متعدٍ))[٣] في تعريف ابن يعيش تقاربا واضحاً مع وصف سيبويه إلا إنه ذكر أنه ((لازمٌ للفاعل)) مشيراً الى ان هذا التلازم هو تلازم معنوي، أي أن طبيعة الفعل ودلالة الحدث تكون مختصة بالفاعل فلا يحتاج الى أن يتجاوزه.

وهذا ما نجده في تعريف ابن الصائغ (ت ٧٢٠ هـ) للفعل اللازم إذ قال :((كُلّ ما لا يقتضي معناه تعدِّيًا إلى مفعولٍ؛ كأفعال الألوان، والخِلَق، المطاوعة، كـ (اسْوَدَّ) و (حَوِلَ) و (تَدَحْرَجَ) و (ظَرُفَ)))[٤]

---

[١] الكتاب لسيبويه: ١/ ٣٤.

[١] المصدر نفسه: ١/ ٣٤.

[٢] المصدر نفسه: ١/ ٣٤.

[٣] شرح المفصل لابن يعيش: ٤/ ٢٩٩.

[٤] اللمحة في شرح الملحة: ١/ ٣٢٥.

أي أنَّ الفعل اللازم على ما تقدم، هو كل فـعلٍ لا يقتضي حدَثه تعدياً إلى مفعول، مكتفياً بفاعله ويدخل في هذا المفهوم أفعال الألوان نحو حمُر و أحمرَّ، أو الأفعال الدالة على خَلقٍ أو خُلقٍ ثابتٍ نحو حسُن وجمُل وكرُم وبخِل، أو أن تدل بُنية الفعل على معنى المطاوعة نحو انكسر وترقرق وغيرها من الأفعال على سبيل المثال لا الحصر.

وهذه الدلالات أو الصيغة الصرفية التي بيَّنها العلماء هي وسائل لمعرفة الفعل اللازم فلا تتضح إلا بوساطة بنيته الصرفية وما يحمل من دلالة معجمية، وهذا يؤدي إلى بيانِ عمله ووظيفته داخل التركيب النحوي، فينتج من هذا التضافر المنسجم إثراء دلالة النص.

أما الفعل المتعدي او مفهوم تعدية الفعل هو ارتباط المفعول به مع فعله عن طريق دلالة الفعل على المجاوزة[١]، ومعنى التعدية كما قال ابن يعيش: ((إنَّ الفعل تجاوز الفاعل إلى محل غيره، وذلك المحل هو المفعول به، وهو الذي يحسن أن يقع في جواب: بمن فعلت؟ فيقال: فعلت بفلان، فكل ما أنبأ لفظه عن حلوله في حيز غير الفاعل، فهو متعد، نحو: ضرب، وقتل، ألا ترى أن الضرب والقتل يقتضيان مضروبا ومقتولا))[٢] أي أنَّ معنى الفعلِ او حدثه موقوفٌ على فهم ومعرفةِ غير الفاعل[٣].

فالفعل المتعدي جيء به للحديث عن الفاعل والمفعول، فهو حديث عن الفاعل بأنَّ الفعل صدر عنه، وعن المفعول بأن الفعل وقع به، فيرفع به ما يسند إليه وهو الفاعل، ويؤتى بالذي الفعل له في المعنى منصوبا بعده وهو المفعول به[٤].

فالإسناد وتلك النسبة الى الفاعل، لكنَّ الفعل في الحقيقة كان من أجل المفعول به[٥]، أي أنَّ الفعل المتعدي في الحقيقة ليس للفاعل، وإنما هو للمفعول به، فعندما نقول: ضرَب زيدٌ عمراً ، فلو كانت الغاية بيان الفاعل لقلنا (ضرَب زيدُ)، لكن الغاية هي بيانُ من وقع عليه فعل الضرب

---

[١] ينظر: بناء الجملة العربية، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف: ١٤١.

[٢] شرح المفصل لابن يعيش: ٤/ ٢٩٥.

[٣] ينظر: الكليات: ٨٠٨.

[٤] ينظر : شرح المفصل لابن يعيش: ٤/ ٣١٣.

[٥] ينظر: دلائل الاعجاز :١٠٠.

وهو المفعول به، فالفعل (ضرب) فعلٌ متعدٍ له القدرة على نصب مفعولٍ به وهذه هي غاية الفعل.

وفيما يأتي تفصيل في أبنية الفعل الثلاثي والرباعي المجرد بين أبنيته الصرفية ووظيفة الفعل النحوية، كما ذكرها علماؤنا مع أمثلة تطبيقية لتوظيف المتنبي لهذا الابنية في شعره وكيف تشكل المعنى العام للبيت من خلال الوظائف التي يتعالق معها الفعل، وأثر ذلك في تحقيق الدلالة من خلال النصوص الشعرية :

أولا : ابنية الفعل الثلاثي المجرد:

١- فعُل – يفعُل

بضم العين في الماضي والمضارع، والأفعال على هذه البنية لا تأتي إلا لازمةً؛ قال السيرافي (ت٣٦٨ هـ): ((وقد انفرد ما لا يتعدى ببناء وهو (فَعُل)، ولا يكون مستقبله إلا (يفعُل) نحو كرُم يكرُم، وظرُف يظرُف))[١] فهذه البنية تكون للصفات الذاتية والغرائز؛ لأن الغريزة لازمة لصاحبها، ولا تتعدى إلى غيره[٢]؛ لذلك لا تحتاج الى مفعول به، فالحدثُ مقصورٌ على الفاعل، وكأنما وصف خاص به؛ لذا رأى ابن السراج أن هذا البناء ((يكون في الخصالِ المحمودةِ والمَذمومةِ))[٣].

وذكر ابن جني (ت ٣٩٣ هـ) إنَّ هذا البناء : ((يكون للهيئة التي يكون الشيء عليها))[٤] أي أن هذا البناء هو وصفٌ للهيئة التي يكون عليها الفاعل فلا حاجة إلى شيءٍ آخر، بمعنى أنَّ الحدث فيه هو صفةٌ ذاتيةٌ في الفاعل وليس أمراً طارئاً.

أمّا ابن يعيش فجمع كل ما سبق من أقوالٍ؛ لبيان وظيفةِ هذه البنية إذ قال: ((وأمّا (فَعُلَ) مضمومَ العين في الماضي فبناءٌ لا يكون إلَّا لازمًا غير متعدٍّ؛ لأنه بناءٌ موضوعٌ للغرائز والهيئة التي يكون الإنسانُ عليها من غيرِ أن يفعل بغيره شيئًا))[٥].

---

[١] شرح كتاب سيبويه: ٤/ ٤٢٤.
[٢] شرح شافية ابن الحاجب ، الرضي الأستراباذي: ١/ ٧٤.
[٣] الأصول في النحو: ٣/ ٩٧.
[٤] المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف: ١٨٨.
[٥] شرح المفصل لابن يعيش: ٤/ ٤٣٠.

كما أنَّ سيبويه حدد ما تحمل هذه البنية من دلالات نستخلصها من الكتاب:

١- ما كان حسناً أو قبحاً فإنه يبنى فعله على فعُلَ يفعُلُ وذلك قولك : قبُح يقبُح، وسُم يوسُم، جمُل يجمُلُ [١]

٢- ما كان من الصغر والكبر نحو : عظُم، صغُر، قدُم، كثُر [٢]

٣-ما كان من الشدة والجرأة والضعف والجبن والشجاعة نحو : ضعُف ، شجُع، جرُؤ، غلُظ، سهُل، سرُع، بطُؤ، صعُب[٣]

٤- ما كان من الرفعة والضعة نحو : شرُف، كرُم، لؤُم، دنُؤ[٤]

٥- ما أتى من العقل نحو: حلُم، رزُن، وللمرأة حصُن، حمُق[٥]

يمكن أن نستشف مما تقدم ومن الدلالات التي ذكرها سيبويه، انَّ هذا البناء عادة مختصٌّ للصفات الذاتية أو الطبيعة التي يكون عليها الإنسان، أي أنَّ الفاعل يكون عاقلاً في الغالب؛ فإذا جاء الفاعل غيرُ عاقلٍ خرج الاستعمال إلى المجاز وهو ما نجده في اللغة الأدبية عادةً.

ومما سبق نصل الى أنَّ هذه الأفعال تكون دالة على صفات ثابتة في الفاعل لا تحتاج الى مفعول به؛ لان الغاية تخصيص الفاعل بهذه الصفة والاقتصار عليها؛ وهذه الأفعال تنتمي إلى حقول دلالية مختصة بالصفات الذاتية مثل الحُلم والشرف والحُسن والقبح وغيرها فعندما تُوظَّف في الشعر لا سيما في الوصف تعطي بُعداً دلاليا في التركيز على صفات الفاعل الذاتية، وما يترتب عليها من تتابعات في التركيب النحوي.

---

(١) ينظر : الكتاب :٢٨/٤.

(٢) ينظر :المصدر نفسه :٣٠/٤

(٣) ينظر المصدر نفسه: ٣١/٤ – ٣٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢- ٣٣

(٥) ينظر المصدر نفسه: ٣٤/٤-٣٦

ومن أمثلة هذه البنية في شعر المتنبي قوله :

قَـرُبَ المـــزارُ ولا مــــزارَ وإنَّــما   يغدُو الجنَــانُ فنلتقي ويــروحُ[١]

استعمل المتنبي الفعل اللازم (قرُب) الذي يحمل دلالة القرْبِ والدنو وهو خلاف البعد[٢]، وهذه الدلالة تحتم عليه أن يكون لازما، فالمتنبي استعار الفعل (قرُب) ووصف به المكان ليدل على ثبوت القرب للمكان، فهذه الأفعال عادةً ما يوصف بها الهيئة او الغريزة التي تكون في الإنسان، لكن المتنبي استعمل الفعل للدلالة على انَّ (المزار) – وهو مكان الزيارة[٣]– قد أصبح قريباً منه، مما يعطي شعوراً مريحاً وأملاً في اللقاء.

وهذه البنية قد استدعت فاعلا وهو(المزارُ) – وهو مصدر ميمي– والمصدر الميمي في الغالب يحمل معه عنصر (الذات) بخلاف المصدر المجرد فإنه حدث مجرد من كل شيء[٤]، فدلَّ المصدر الميمي (المزار) على حدث الزيارة مع اتصاف مكان معين بالزيارة؛ لما له من أهمية عنده فالمتنبي يسمي بيت محبوبته أو مكان اللقاء بـ(المزار) لكثرة الزيارة وفي الوقت نفسه يقدسِه ويُعلي مكانته.

لكن المتنبي عندما استعمل اسلوب النفي بقوله (ولا مزار) بعد (قرُب المزار) ، شكَّل مفارقة في المعنى فكيف قرب المزار ولا مزار! وهذا يوحي أن هناك اسبابا منعت الزيارة، إذ إنَّ من المنطق إذا قرُب المزارُ تكثرُ الزيارة، لكن المتنبي عدل عن هذا التعبير؛ ليعبر عن حبه وشوقه إليه، إذ لا مزار على الحقيقة[٥] وإنما اللقاء على التخيل؛ ليكون تعلةً له وفي الوقت نفسه عذابا

---

[١] ديوان المتنبي:٤٦.

[٢] ينظر: المخصص ٣/ ٣١٧، والمنتخب من كلام العرب: ٢٣٩، ومقاييس اللغة: ٥/ ٨٠.

[٣] ينظر : شرح ديوان المتنبي ، عبد الرحمن البرقوقي: ٣٦٦/١.

[٤] ينظر : معاني الأبنية في العربية :٣٤

[٥] ينظر : التبيان في شرح الديوان :٢٤٦/١.

له، إذ يقول: أن دارك أيها الحبيب قريبة مني، ولكن لا سبيل الى الزيارة خشية الرقباء، وإنما نتلاقى بالقلوب، فيغدو قلبي إليك ويروح، أي أتذكرك فأمثلك في قلبي، فكأنما قد التقينا[١]

مما تقدم يمكن القول أن المعنى العام للنص قد تشكل من استعمال الفعل على هذه البُنية التي أدت إلى بيانِ وظيفته النحوية.

٢- فَعَلَ – يَفعُلُ:

بفتح عين الماضي، وضم عين المضارع[٢]، تأتي هذه أفعال هذه البنية على ضربين: متعدّ وغيرُ متعدّ، فالمتعدّي نحو (قتَلَ ـ يقتُل) وغيرُ المتعدّي نحو(قعَد ـ يقعُدُ)[٣]، وعلة ضُمَّ مضارعه؛ تقاربه مع بنية (فعُل – يفعُل) كما أنه قد يجري مجرى الغرائز [٤].

وتأتي أفعال هذه البنية على سبيل المثال لا الحصر على معانٍ كثيرةٍ ، مأخوذة من دلالة الفعل المعجمية، وهذه المعاني تتبين أيضاً من خلال استعمالها في السياق فتظهر الوظيفة النحوية للفعل.

فمن الدلالات التي يأتي عليها الفعل اللازم مثلاً الدلالة على **الهدوء والسكون** نحو (رَكن ـ يركُنُ) و(سكَتَ ـ يسكُتُ) و(ثبَتَ ـ يثبُتُ)، أو الدلالة على **الجوع والعطش** نحو: (سغَبَ ـ يسغُبُ) و(جاع ـ يجوعُ)، أو الدلالة على **الاقتراب أو الابتعاد** نحو: (دنا ـ يدنو) و (دخل ـ يدخلُ)، أو الدلالة على **الحركة والاضطراب** نحو: (جال ـ يجول) و (ركض ـ يركُض) أو الدلالة **على الرفعة والسمو** نحو: (سما ـ يسمو) و (فاز ـ يفوزُ)[٥].

---

[١] ينظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي: ١/٣٧١-٣٧٢، والتبيان في شرح الديوان للعكبري: ١/٢٥٢، وشرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي:١/ ٣٦٦.

[٢] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٤/ ٢٦٦.

[٣] ينظر :شرح المفصل لابن يعيش: ٤/ ٤٢٦.

[٤] ينظر: المصدر نفسه: ٤/ ٤٣٥.

[٥] ينظر :ابنية الصرف في كتاب سيبويه :٤٠٧

والذي يبدو انَّ هذه المعاني هي التي تجعل الفعل لازماً، فضلا على بنيته الصرفية المجردة، التي جعلت هذه المعاني محددةً في وصف الفاعل، فلو حدث زيادةٌ في بنية الفعل الصرفية أدى إلى تغير وظيفته النحوية لكن الدلالة المعجمية تبقى ثابتةً لكنَّ من يتصف بها يتغير.

أما الافعال المتعدية لهذ البنية فقد جاءت على دلالات تختلف عن اللازمة فمنها على سبيل المثال الدلالة على **الاعتداء والإيذاء** نحو (قتَل ـ يقتُلُ) و (غزا ـ يغزو)، أو الدلالة على **الطلب** نحو (طلَب ـ يطلُب) و (رام ـ يروم) [١] ، أو الدلالة على **التحويل** نحو: (نقل – ينقُل) (نثر – ينثُر)[٢].

والذي يبدو أن هذه المعاني يتجاوز أثرها الفاعل إلى المفعول به؛ لذا عندما تستعمل أفعال هذه البنية مجردة في التركيب النحوي تستدعي مفعولاً به ليتم معناها وقد يستغنى عن المفعول به لأغراض بلاغية.

مما تقدم يتضح أنَّ لهذه البنية تقارباً مع بنية **(فعُل – يفعُل)** التي خُصت بالفعل اللازم؛ لأنها تدل على الغرائز أيضاً، فسيبويه عقد مشابهة بينهما إذ قال: ((وقالوا: نضَر وجهه ينضُر، فبنوه على فعَل يفعُل مثل خرَج يخرُج، لأن هذا فعل لا يتعداك إلى غيرك كما أن هذا فعلٌ لا يتعداك إلى غيرك))[٣]

لكن الفرق بينهما أن بنية **(فعُلَ ـ يفعُل)** تأتي للصفات الذاتية الثابتة التي قد تدل على المدح أو الذم وقد تكون هذه للطبائع لذلك تكون أكثر ثبوتا في الفاعل، لان هذا الباب إنما وضِعَ للصفات اللازمة[٤].

أما بنية **(فعَل ـ يفعُل)** فإنها تأتي للصفات الذاتية لكنها طارئة وقد لا تكون ملازمة للفاعل دائماً كما في (سكَتَ ـ يسكُت) أو (فاز ـ يفوزُ).

---

[١] ينظر: ابنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٨٢-٢٨٣.

[٢] ينظر: دروس التصريف، محمد محيي الدين: ٦٣.

[٣] الكتاب لسيبويه: ٤/ ٢٨.

[٤] ينظر: مختصر شرح التصريف العزي في فن الصرف:٣٤.

وقد وردت هذه البنية في شعر المتنبي لازمةً ومتعديةً:

فما جاء على هذه البنية لازماً قوله:

أبدى العداة بك السرورَ كأنهم فرحوا وعندهم المقيم المقعدُ

قطعَّتهم حسداً أراهم ما بهـم فتقطَّعوا حسدا لمن لا يحسـدُ

حتى انثنوا ولو أنَّ حرَّ قلوبهم في قلب هاجرة لذاب الجلمدُ[1]

استعمل المتنبي الفعل (ذاب) الذي يحمل دلالة السيلان، وهو نقيض (جمَدَ)، وكل جامد ذاب حَتَّى سَالَ[2] وهذه الدلالة تبين أنَّ أثر الفعل يكون في الفاعل لا يتجاوزه إلى غيره؛ لذا يكون هذه الفعل لازماً مُكتفياً معناه بفاعله.

ودلالة الفعل المعجمية بما يحمل من بنية صرفية مجردة تحدد لنا المجالات الدلالية التي يتآلف معها الفعل داخل التركيب النحوي، لكنَّ المتنبي يسنده إلى فاعل لا يتآلف معه في مفهوم اللغة العادية ليخرجه إلى المجاز، وفاعله (الجلمدُ) وهو الصخر الصلب الذي لا يصح منه هذا الفعل، فالعلاقة الإسنادية بين الفعل وفاعله هي علاقة مجازية، إذ إنه لو أسنده إلى ما يصح منه الفعل مثل (الثلج) أو (السمن) لم يكن للتعبير الذي أراده هذه الصورة المجازية، الذي أوصلت شدة حرارة قلب حساده.

وجاء الفعل (ذاب) واقعا في جواب شرط (لو) وهي (حرف امتناع لامتناع) مقترنا باللام التي أفادت توكيد مضمون الجملة[3] ليكون مبالغة وقوة في الوصف.

إنَّ الناظر إلى أسلوب الشرط الذي تعلق به الفعل (ذاب) قد لا يجد من هذا الاسلوب سوى الشكل، لأنَّ المتنبي وظَّف هذا الأسلوب دلالياً،؛ لأنه عندما استعمل(لذاب الجلمد) جوابا للشرط كانت الغاية منه تصوير شدة حسدهم، فما أراد قوله هو أن حسادك انصرفوا عنك وعن مباهاتك، عالمين بتقصيرهم، وفي قلوبهم من حرارة الحسد والغيظ ما لو كان في هاجرة، وهي

---

(1) الديوان: ٣٢.

(2) ينظر : جمهرة اللغة: ١/ ٣٠٧.

(3) ينظر: معاني النحو: ٨٠/٤.

الأرض الشديدة الحرارة واستعار للأرض قلبا لأنه ذكر قلوبهم، فمن شدة حسدهم فاقتران الجلمد بالذوبان فهو مبالغة في الوصف[1]

فما جاء منها متعدياً قوله :

نصر الفَعَال على المطال كأنَّما خال السؤال على النوال محرَّما[2]

استعمل المتنبي الفعل (نصر)الذي حمل دلالة الرفعة والإعلاء والإظهار[3]؛ ليدل على أنَّ من يقوم بهذا الفعل صاحب قوة ومنزلة وثقة ومقدرة، وهذه الدلالة التي يحملها الفعل تحتم عليه ألَّا يكتفي معناه بالفاعل وإنما يحتاج الى الاتساع لينصب مفعولاً به.

فالحدث في الفعل (نصر) لا يقتصر على الفاعل، وإنما يمتد أثره ليقع على من (ينصره) أي على مفعول به، بمعنى أنَّ هذه الدلالة هي التي جعلت للفعل فضاءات في التركيب النحوي وليس للبنية الدور المهم في هذا الاتساع؛ لأنَّ هذه البنية كما ذكرنا قد تأتي الأفعال معها لازمة أو متعدية، وينماز الفعل بوساطة دلالته المعجمية واستعماله في التركيب النحوي.

ومجيء الفعل على صيغة الماضي له دلالة على ان هذه (الفَعَال) ليست جديدة عليه معروفةٌ فيه منذ زمن، وكأن مجيء الفعل بهذه الصيغة اعطى دلالة اشبه بالصفة الثابتة في الممدوح؛ لأن استعمال الفعل الماضي بدلا من الفعل المضارع يعطي دلالة الأمر المقطوع بحصوله وثبوته، وهذا ما أشار إليه ابن جني في قوله: ((قولهم: إن قمت قمت فيجيء بلفظ الماضي والمعنى معنى المضارع، وذلك أنه أراد الاحتياط للمعنى، فجاء بمعنى المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه حتى كأن هذا قد وقع واستقر لا أنه متوقع مترقب))[4] أي أنَّ استعمال الفعل (نصر) بصيغة الماضي أدى معنى أقوى في الوصف وإن كان المقصود فيه المضارع بمعنى أن الممدوح (ينصر الفعَال).

---

[1] ينظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي: ١/٢٨٣، والتبيان في شرح الديوان: ١/٣٣٥.

[2] الديوان: ١٠.

[3] ينظر: شرح ديوان المتنبي، للعكبري: ٤/ ١٣٣ .

[4] الخصائص: ٣/ ١٠٧.

وفاعله ضميرٌ مستترٌ جوازاً تقديره (هو) يعود على الممدوح؛ ليشكل هذا الضمير المستتر حلقةَ وصلٍ لدى المتلقي مع بنية القصيدة العامة، والمفعول به هو (الفَعَال) بفتح الفاء: وهو الكرم وما يفعل من حسن[1]، أي ان من نصره ليس شخصاً ما، كما هو مألوف، بل كان نصره لأفعال الخير، ونصره لها كان على المطال أي المماطلة بمعنى المدافعة في تنفيذ الفَعال.

وهذا يعني أنَّ افعال الخير التي يقوم بها لا مطال فيها ولا تأخير، وفي رواية (على المقال) كما قال الواحدي أي نصر فعله على القول ونصر عطاءه على المطل؛ أي يعطي ولا يماطل، كأنه ظن أن السؤال حرام على النوال ولا يحوج الى السؤال بل يسبق بنواله السؤال، وهذا مجاز وتوسَّع لأنَّ النوال لا يوصف بانه يحرِّم عليه شيء، لكنه أراد أن يذكر تباعده عن الإلجاء للسؤال[2].

٣- **فعَل ــ يفعِلُ** :

بفتح العين في الماضي، وبكسرها في المضارع[3] تتضمن أفعال هذه البنية ما كان لازماً وما كان متعديا، قال سيبويه: ((اعلم أنه يكون كل ما تعداك إلى غيرك...على فعَل يفعِل، وذلك نحو ضرَب يضرِب.... و تكون فيما لا يتعداك، وذلك نحو جلس يجلِس))[4]

وتأتي الأفعال اللازمة لهذه البنية على معانٍ منها ما يدل على **المجيء والذهاب** نحو: (رجَع ـ يرجِعُ) و (جاء ـ يجيءُ) أو الدلالة على **السير أو العدو** نحو (خبَّ ـ يَخِبُّ) و (جرَى ـ يجرِي) أو الدلالة على **الصفة القبيحة** نحو (خاب ـ يخيب) و (فسَق ـ يفسِق)، أو الدلالة **على صوت** نحو (صاح ــ يصيحُ) و (ضجَّ ــ يضِجُّ) أو الدلالة على **الحركة والاضطراب** نحو: (وثَبَ ــ يثِبُ) و (قَفَزَ ــ يقفِزُ)[5]، وهذه المعاني مأخوذة من الدلالة المعجمية للفعل.

---

[1] ينظر: مقاييس اللغة: ٤/ ٥١١

[2] ينظر: شرح الديوان للواحدي:١/١٢٧-١٢٨، وشرح الديوان للبرقوقي: ٤/ ١٤٦.

[3] ينظر: المفتاح في الصرف:٦٣، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٤/ ٢٦٥.

[4] الكتاب لسيبويه: ٤/ ٣٨، وينظر المقتضب٢/ ١١٠ ، والأصول في النحو ٣/ ٨٦.

[5] ينظر: ابنية الصرف في كتاب سيبويه :٢٧٤

أماَّ الأفعال المتعدية لهذه البنية فتأتي على دلالات منها ما يدل على **المنع والإيذاء** نحو: (ضرَب ـ يضـرِب) و (حبَس ـ يحبِسُ)، ومنهـا مـا يدل علـى **الغلبـة** نحو (غلَب ـ يغلـبُ) و (خصَم ـ يخصِمُ)، ومنها ما يدل على **القطع** نحو (كسر ـ يكسِرُ) و (نزعَ ـ ينزِع) وغيرها من المعاني[١]، **ومنها ما يدل على الإصلاح** نحو: (نسَج – ينسِج) و (غزَل– يغزِل) [٢]

وممّا وردَ في شعرِ المتنبيّ على هذه البنية لازما قولُه:

إذا غدَرَتْ حسناءُ وفَّت بعهدها ... فمن عهدها أن لا يدوم لها عهدُ[٣]

استعمل المتنبي الفعل (غدر) الذي يحمل دلالة نقض العهد وترك الوفاء به [٤]، فالفعل في هذا البيت جاء لازماً، مستدعيا فاعلا وهو (حسناء)، فمجيء الفعل لازماً في هذا التركيب دلَّ على أنَّ الفاعل موصوف بحدث هذا الفعل، بمعنى أن استعمال الفعل لازماً دلَّ على أنَّ الغدر صفةٌ للحسناء دون الحاجة إلى بيان بمن تغدر.

فالسياق أو الاستعمال هو الذي جعل الفعل لازماً، بمعنى إنَّ توظيف بُنية الفعل الصرفية نحوياً أدت إلى بيان استعماله داخل التركيب وما يتبع ذلك من دلالةٍ تؤدي الغرض المرجو.

كما أنَّ اسناد الفعل (غدرت) إلى الفاعل (الحسناء) وهي الحسنة البيضاء من النساء[٣] فخصَّ المتنبي هذه الصفة بالحسناوات من النساء، فالحسناء تكون مغرورة بجمالها؛ لذا تكون أكثر النساء غدراً، فإذا غدرت الحسناءُ فلا تتعجب؛ لأنها لم تَعْدُ سجاياها؛ لأنَّ عادتها الغدر، وقد وفَّت بالعهد إذا غدرت، فمن عهدها أن لا تبقى على العهد، فوفاؤها غدر، وغدرها وفاءٌ وهذا معنى حسنٌ جداً كما قال أبو البقاء العكبري[٤]

---

(١) ينظر: ابنية الصرف في كتاب سيبويه :٢٧٤.

(٢) ينظر: دروس التصريف، محمد محيي الدين، ٦٣.

(٣) الديوان : ١٦١.

(٤) ينظر : مقاييس اللغة ٤/ ٤١٣ وتهذيب اللغة ٨/ ٨٧، ولسان العرب: ٥/ ٨.

(٥) المخصص ١/ ٤٢٣.

(٦) ينظر التبيان بشرح الديوان :٤/٢.

وجاء هذا الفعل بصيغة الماضي للدلالة على الثبوت، لكن زمنه النحوي يدل على المستقبل؛ لأن (إذا) ظرفٌ لما يستقبل من الزمان[١] وتستعمل للمقطوع بحصوله والكثير الوقوع[٢]، بمعنى أنَّ تضافر الزمن الصرفي مع الزمن النحوي أدى دلالة في كون الحدث حاصلٌ وثابتُ في الماضي ومستمر في المستقبل وفي الوقت نفسه كثير الحصول وكانَّه جعل للحسناء عهد متقدم بالغدر فإذا غدرت فهو وفاء لها بالعهد القديم[٣].

وممّا وردَ في شعرِ المتنبيّ على هذه البنية متعديا قولُه:

وإنْ فقد الإعطاءَ حنَّت يمينه إليه حنين الإلفِ الى الألف[٤]

استعمل المتنبي الفعل(فقَدَ) الذي يدل على ذهاب الشيء وضياعه[٥] ولهذه الدلالة أثرها في بيان الوظيفة النحوية للفعل داخل التركيب، لأنها تحتم على الفعل أن يكون متعديا؛ لأنّ الحدث في هذا الفعل لا يقع على فاعله وإنما يحتاج إلى مفعول به متأثرٍ بما احدثه الفاعل.

كما إنَّ استعمال المتنبي للفعل (فقد) له دلالةٌ في إثراء المعنى فإنَّ هذا الفعل فعلٌ لا يكون بإرادة الإنسان وإنما خارجٌ عن إرادته، أي أنَّ المتنبي لمَّا استعمل الفعل (فقد) كان قاصداً له، لو أنه استعمل الفعل (ترك) وهو فعلٌ إرادي، لما أدَّى الدلالة التي أرادها.

ومفعوله هو (الإعطاء)، وهذا يشكل لنا معنى أنَّ اختيار الفعل (فقد) يوحي أن ترك الإعطاء إنْ حدث فليس بإرادته، أي أنه لا يترك الإعطاء عمداً؛ وإنما يتركه لعارض وهذا مبالغة في وصف كرم الممدوح ، بأنه لا يترك الإعطاء وإنما يفقده.

ومجيء الفعل بصيغة الماضي وتضافره مع (إن) الشرطية له دلالة في كون (إن) الشرطية تستعمل في المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها، والموهومة والنادرة [٦] بمعنى أنَّ

---

[١] ينظر: اللمحة في شرح الملحة: ٤٤٦/١.

[٢] ينظر :معاني النحو:٦١/٤

[٣] ينظر: الموضح في شرح شعر المتنبي للتبريزي : ٢٥٠/٢.

[٤] الديوان: ٧٨.

[٥] مقاييس اللغة ٤/ ٤٤٣

[٦] ينظر : شرح ابن يعيش، ٤/٩ ، ومعاني النحو:٥٩/٤.

فقد الاعطاء ليس أمراً كثير الحصول وإنما هو مشكوك في حصوله، وإن حصل هذا فإنَّ جواب الشرط يأتينا بقوله (حنَّتْ يمينه إليه) لأنَّ يمينه تعودت على الكرم ،وقد ألفت يده العطاء فإذا تركته حنت إليه كما يحنُّ الإلف إلى ألفه[1]

٤-فعَل ــ يفعَل :

بفتح العين في الماضي والمضارع جميعا[2] وتتضمن هذه البنية ما كان من الأفعال لازما أو متعديا، قال ابن السراج: ((وجدتُ فَعَلَ يَفْعَلُ فيمَا هو غيرُ متعدٍّ أَكثَرُ))[3].

ولا تأتِي أفعال هذه البنية إلَّا أن تكون العين أو اللام أحد حروف الحلق، وليس ذلك بالأصل، إنما هو لضربٍ من التخفيف بتجانُس الأصوات[4] قال سيبويه : ((هذا باب ما يكون يفعَل ومن فعَل فيه مفتوحا، وذلك إذا كانت الهمزة، أو الهاء، أو العين، أو الحاء، أو الغين، أو الخاء، لاماً أو عيناً. وذلك قولك قرأ يقرأ، وبذأ يبذأ وخبأ يخبأ))[5]

وتأتي أفعال هذه البنية إذا كانت لازمة لدلالات كثيرة كأن تدل على **الذهاب أو المضي** نحو (ذهَبَ ـ يذهَب) و (رحَلَ ـ يرحَل) او أن تدل على **الهدوء** نحو (نعَسَ ـ ينعَسُ) و (هدَأ ـ يهدأُ) أو ان تدل على **المزح** نحو (مزَح ـ يمزَحُ) أو أن تدل على **الصوت** نحو (صرَخ ـ يصرَخُ) و (نبَحَ ـ ينبَحُ) او ان تدل على الافتخار نحو (فخَر ـ يفخَرُ) أو ان تدل على **خوف** نحو (فزَع ـ يفزَعُ) وغيرها من الدلالات[6]

[1] ينظر: التبيان في شرح الديوان : ٢/٢٨٥.

[2] ينظر : شرح شافية ابن الحاجب للرضي: ١/ ١١٧، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:٤/ ٢٦٦.

[3] الأصول في النحو: ٣/ ٨٨.

[4] ينظر شرح المفصل لابن يعيش: ٤/ ٤٢٨، والمفصل في صنعة الإعراب: ٣٩٦، وشرح شافية ابن الحاجب للرضي: ١/ ١١٧، والخصائص: ٢/ ١٤٥.

[5] الكتاب لسيبويه: ٤/ ١٠١.

[6] ينظر : أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢٧٥.

أما الافعال المتعدية فتأتي على دلالات اشهرها الامتناع نحو (منَع ـ يمنَع) و (أبى ـ يأبى) ومنها ما يدل على الفتح والقطع نحو (قطع ـ يقطَع) و (فتَح ـ يفتَح)، ومنها ما يدل على الحفظ والادخار نحو (ذخرـ يذخر) و (جبى ـ يجبى)[1].

وممّا وردَ في شعرِ المتنبيّ على هذه البنية لازما قولُه:

جَمَح الزمانُ فلا لذيذٌ خالصٌ مما يشوبُ ولا سرورٌ كامل[2]

استعمل المتنبي الفعل (جمح) الذي يحمل دلالة ذهاب الشيء قدما بغلبة وقوة[3]، وهذه الدلالة تبين لنا وظيفة الفعل النحوية التي نتجت عن تضافر بنيته الصرفية مع دلالته المعجمية، لأن الافعال على هذه البنية قد تأتي لازمة أو متعدية، فتأتي الدلالة المعجمية داخل السياق لتفصل بينهما ، ومن ثم تتضح وظيفة الفعل النحوية داخل التركيب، لذا يمكن القول أن الفعل (جمح) جاء لازماً ليدل على اتصاف الزمان بالجموح.

ومجيء الفعل لازماً جعله يستدعي فاعلا وهو (الزمان) بكل ما يحوي من المعاني، أي أنَّ الزمان قهره وغلبه فلا يقوى عليه؛ لذا وصف الزمان بالجموح، فجاء ما بعد هذا الفعل تعليلاً لهذا الوصف، وكأنه جواب لمن يسأل كيف جمح الزمان؟ فيأتي الجواب (فلا لذيذ خالص مما يشوب) أي لا تخلص لذة من أذىً يشوبها وكذلك (لا سرورٌ كامل) أي لا يأتي سرورٌ كامل للإنسان على ما أراده[4].

ولهذا البيت تعالقٌ مع ما سبقه من أبيات، وكأن قوله (جمح الزمان) هو نتاج أو تفسير يبنى على ما سبقه إذ يقول:

إنــعمْ ولـــذَّ فللأمـــور أواخـــرٌ أبـــداً إذا كـــانت لهنَّ أوائلُ
ما دمت من أربِ الحسان فإنما روق الشباب عليك ظلٌ زائلُ

[1] ينظر : المصدر نفسه: ٢٨٤.
[2] الديوان:١٣٨.
[3] ينظر : مقاييس اللغة: ١/ ٤٧٦.
[4] ينظر : شرح ديوان المتنبي للبرقوقي:٣/٣٧١.

للهو آونـــــةٌ تـــمرُّ كأنـــها   قُبـلٌ يُزوِّدها حبـيبٌ راحـلُ[١]

إذا تتبعنا معاني الابيات التي ذكرها قبل قوله (جمح الزمان) نلمح أنه يصف الزمان أذ يقول: في البيت الاول تمتع بالنعمة واللذة ما بقي لك وشبابك له آخر كما كان له أول، وكذلك في البيت الثاني: يقول: أنعم ولذ ما دام للحسان أرب فيك، أي ما دمت شاباً فإن روق الشباب ظِلٌ يزول ولا يبقى. أما البيت الثالث: فإنه يقول للهو ساعات سريعة المرور يشبهها كتزويد الحبيب الراحل من عندك قُبُلاً، فهي لذيذة لكونها وشيكة الانقضاء كذلك ساعات اللهو والسرور.

ومن هنا جاء قوله (جمح الزمان) متناسبا مع ما قبله ؛ لأن كل ما قبله فعلٌ للزمان وتحمل معنى الفعل بالغلبة والقوة .

أمَّا ما وردَ في شعرِ المتنبيّ على هذه البنية متعديا قولُه:

وفتَّانة العينين قتَّالة الهوى   إذا نفَحَتْ شيخاً روائحُها شبَّا[٢]

استعمل المتنبي الفعل(نفح) الذي يدل على تضوع وانتشار رائحة الطيب[٣] يقال نفحَ الطيب ونفحت رائحة الطيب، ونفحت فلانا بالسيف نحو لفحته إذا ضربته به ضربة خفيفة[٤] ويعد هذا الفعل من الأفعال المشتركة بين التعدي واللزوم، لكن استعماله داخل السياق هو الذي حدد نوعه، ويترتب على هذا وظيفته النحوية، وقد استعمله المتنبي في هذا البيت متعدياً على المعنى لا على اللفظ أي ضمنه معنى فعل، بمعنى (أصاب) لذا يُعدُّ على هذا الاستعمال متعدياً[٥].

واستعمل المتنبي (نفح) بدل (أصاب) لدلالة على أنَّ روائحها إذا مست شيخاً مسةً ولو كانت شيئاً قليلاً لأصبح شاباً وهذا مبالغة في الوصف ولو انَّ المتنبي استعمل الفعل(أصاب)

---

(١) الديوان:١٣٨.

(٢) الديوان: ٢٤٨.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٥/ ٤٥٨.

(٤) ينظر: جمهرة اللغة :١/ ٥٥٧.

(٥) ينظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي:١٣٠٧/٣.

ما أدى المعنى الذي أراده؛ لأنَّ الإصابة أثرها أكثر، فإذا كانت نفحةٌ من روائحها المتنوعة ترجعه شاباً فكيف إذا أصابته هذه الروائح!

وجاء هذا الفعل بصيغة الماضي للدلالة على الثبوت واتصلت به (تاء التأنيث الساكنة) للدلالة على أنَّ الفاعل مؤنث وكذلك لها وظيفةٌ في ترابط المعنى العام للبيت.

وفاعلُ (نفح) هو (روائـُحها) وفيه ضمير يعود على (فتَّانة العينين قتَّالة الهوى) ولهذا الضمير وظيفة في جعل الجملة الشرطية وصف لما قبلها، لكن هذا الفاعل لم يأتِ بعد فعله مباشرة على الأصل وإنما تأخر وتقدم المفعول به (شيخا) ومدار هذا التقديم يدور على الاهتمام والعناية[1] قال سيبويه: ((فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضرب زيدا عبد الله؛ لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرا في اللفظ، فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم))[2] فتقدم المفعول به (شيخاً) على الفاعل (روائحا) للاهتمام والمبالغة في الوصف.

٥- **فعِلَ ـ يفعَل** :

بكسر العين في الماضي، وفتحها في المضارع[3] وتتضمن أفعال هذه البنية ما كان لازما أو متعديا قال المبرد: ((وَتكون على(**فعِل يفعَل**) لما يتَعَدَّى وَلما لَا يتَعَدَّى فالمتعدي شرِب يشرَب ولقِم يلقَم وحذِر يحذَر، وَأما غير الْمُتَعَدِّي فنحو بطِر يبطَر وَفقِه يفقَه))[4]

وتأتي أفعال هذه البنية على دلالات كثيرة منها ما يدل على **اللهو واللعب والفرح** نحو(فرِح ـ يفرَحُ) و (لعِبَ ـ يلعَبُ) ، ومنها ما يدل على **الداء** نحو (مرِض ـ يمرَضُ) و (سقِم ـ

(١) ينظر: معاني النحو: ٤٨/٢.
(٢) الكتاب لسيبويه ١/ ٣٤.
(٣) ينظر: المفتاح في الصرف: ٦٤ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٥/ ٤٢٨
(٤) المقتضب: ٢/ ١١٠.